اللغة العربية الدارجة وعملية توحيد المصطلح: مشاكل وحلول

د. تيسير الكيلاني(*)

1- المقدمة :

تعتبر اللغة العربية من أهم الروابط والصلات التي تربط أبناء الأمة العربية برباط الثقافة الواحدة في كافة أقطارهم الاثنين والعشرين، كونها تحمل تراثهم الديني والأدبي والعلمي. إضافة إلى أنها الوعاء الذي يحوي أفكارهم ومشاعرهم، التي بها يتحقق انتقال المعرفة والخبرة والتواصل بين الأفراد. من أجل هذا وغيره من الأسباب يتوجب علينا جميعاً، أياً كان موقع كل منا وتخصصه ووجهة عمله، أن يتوخى العناية بلغته القومية ويحافظ على أصالتها وقوة تعبيرها وسلاسة ألفاظها بعيداً عن الغموض والاختلاف، لا سيما فيما يخص طوفان المعارف الحديثة ومصطلحاتها المتدفقة عليها من عدة جهات ومصادر.

إن توحيد هذه المصطلحات عمل قومي وواجب وطني؛ كي ندرأ الاختلاف في المصطلحات؛ حتى لا يتجمع قدر كبير منها في لهجات بعض الأقطار العربية يكون مخالفاً عن مثيله في لهجات أقطار عربية أخرى، وتكون نتيجته تحويل اللغة الأم الجامعة إلى لغات إقليمية عدة. كما أن اختلاف المصطلح المعرَّب يساعد على إذكاء واقع التجزئة في الوجدان العربي، إضافة إلى أنه يضعف الثقة بالتعريف ويشيع البلبلة في اللغة. أما توحيده فهو يساعد على تقليص المسافات بينها والإحساس بالوجود الواحد، فكراً وتصويراً وتعبيراً. من هنا، فإن توحيد المصطلح في اللغة الفصحى و العامية، أمر لازب لا مندوحة عنه.

إن الدارس للهجات العربية الدارجة، التي تعد بالعشرات في كل بلد عربي، يجد أنها زاخرة بالمصطلحات الأجنبية الفنية والعلمية والصناعية، والتقنية والمعلوماتية، والاجتماعية وغير ذلك كثير. والسبب في ذلك هو أن اللهجات العامية تستعمل في الأقاليم والمدن للتعبير عن مستلزمات الحياة اليومية الملموسة مثل : المأكولات، والملبوسات، والكماليات، والشؤون المترلية، والحرف العادية، والفلاحة، والصناعة، والتجارة، والهندسة، والطب، وغير ذلك من الممارسات اليومية الاعتيادية المفعمة بالمفردات الأجنبية. فهي كلام العامة الذي يستعمل في الأغراض المعاشية وفي علاقات الناس بعضهم ببعض دون أن يرقى هذا الكلام إلى مصاف اللغة

(*) الأمين العام للشبكة العربية للتعليم المفتوح والتعليم عن بعد

الفصحى أو العربية العصرية التي تتوخى السلاسة والسهولة وتجاري روح العصر. إن اللهجات العربية الدارجة تستمد الكثير من مفرداتها الأعجمية من اللغات: الإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، والتركية، والفارسية، والروسية، والألمانية، لا سيما أسماء الأجهزة والآلات وأجزاء السيارة والمركبات والإلكترونيات... إلخ. والسبب في ذلك هو أننا متلقون للعلوم والفنون ومستوردون للآلات والمواد المصنعة التي يرافقها بالعادة مصطلحاتها باللغات التي جاءت منها. إننا نعيش في عصر التفجر المعرفي، عصر العلم و التقانة (التكنولوجيا) حيث يدخل اللغة يومياً مئات المصطلحات الحديثة يضعها العلماء والمخترعون بلغاتهم القومية. وتنتشر هذه المصطلحات والمسميات بين الناس عن طريق وسائل الاتصال الحديثة وعن طريق استعمال المواد المستوردة من هنا وهناك. ومتى انتشرت هذه المصطلحات وعمّت بين الناس، أصبح من العسير أن تتغير إلا إذا وجدوا أفضل منها، لا سيما إذا تأخر وضع مقابلاتها في اللغة العربية.

إن اللهجات العامية في أغلب الأقطار العربية أو كلها قد ابتعدت كثيراً عن اللغة الفصيحة نتيجة للكمّ الهائل من المفردات الأجنبية الدخيلة عليها، ونتيجة الجهل الذي أطبق على الأمة العربية، في وطنها الواسع الكبير، بسبب الموجات العاتية التي داهمته من الدول الأوروبية المستعمرة، وتسلطها على المقدرات الوطنية لعهود طويلة، وسعيها الدؤوب في تجهيل الأمة وعدم نشر العلم والمعرفة بين أوساط الشعب العربي في مشرقه ومغربه. لقد ساعدت هذه السياسات الغاشمة على تفشّي الأمية وانتشار اللهجات العامية وتعددها مما أدى إلى تباطؤ تطور اللغة الأم لتصبح لغة العلم والمعرفة والتقدم مثل ما كانت عليه في عصور الازدهار أيام الخلافة الأموية والعباسية والحكم العربي الإسلامي في الأندلس. لقد كانت اللغة العربية، حينذاك، لغة العلم والحضارة يعبر بها أهلها عن الأفكار العلمية والفلسفية والأدبية تعبيراً مشحوناً بكل ما في اللغة الحية من طاقات وقدرات وما تنطوي عليه من استعداد للنماء والتطور غير آبهة بنقل العلوم والفنون من اللغات : اليونانية، والسريانية، والهندية، والفارسية، وغيرها من اللغات الحية آنذاك؛ لأنها لغة قوية وقادرة على التعبير بألفاظها لتؤدي المعاني المطلوبة.

وتتفاوت العامية في درجاتها من قطر عربي إلى آخر تبعاً لمستوى الأمية في هذا البلد أو ذاك. فكلما كانت درجة الأمية عالية بين أوساط الشعب كلما بعدت العامية عن اللغة الفصيحة لعدم تمكُّن الأفراد من اللغة الصحيحة فيتداولونها دون رابط أو تفكير لغوي. وما زالت نسبة الأمية مرتفعة في بعض البلدان العربية. وذلك لا يمكن للغة الفصحى أو ما يسمى باللغة العصرية التغلب على العاميات ما لم يقض على الأمية وينتشر العلم والمعرفة بين أفراد المجتمع. ولكن مع الأسف لم تُنظّم بعد في كثير من البلاد العربية حملة شاملة للقضاء على الأمية مثلما حدث في أوروبا الغربية في القرن الماضي أو في الاتحاد السوفياتي. وما دمنا في صدد تعريب صحيح ومُرْضٍ، فلا بد من محاربة الأمية والقضاء عليها، لأن التعريب وتوحيد المصطلح لا يكونان مجديين دون محو الأمية. لذا علينا أن نتخذ التدابير اللازمة لرفع المستوى الثقافي لفئات المجتمع العربي كي يعبروا عن الأشياء الأصيلة أو المنقولة بدقة ووضوح؛ وإلا ستبقى العامية الدارجة هي اللغة السائدة في التعبير والتداول بين أوساط الشعب.

وتعتبر اللغة العامية مصدراً من مصادر التعريب المهمة. فلا يصح إغفالها من عملية التوحيد لأنها غنية بالمصطلحات العلمية نظراً لصلتها الوثيقة بالواقع

وممارسات الحياة اليومية. إننا في البلاد العربية متلقون للمعرفة ومصطلحاتها التي تنتشر في وسائل الإعلام والاتصالات الحديثة بسرعة فائقة فيتلقفها عامة الناس ويستعملونها قبل أن يطلع عليها المختصون أو يضعوا لها مقابلات عربية. وغالباً ما يكون ذلك بعد انقضاء زمن على تداولها، وبعد أن تصبح مستخدمة على نطاق واسع من قبل الجماهير، مما يجعل من الصعب استبدالها إلا إذا وجدت لها مرادفات خير منها من ناحية تقبُّل الناس لها. وغالباً ما تكون هذه المصطلحات معرَّبة تعريباً صوتياً، مرتجلاً دون مراعاة بناء اللفظة المعربة على وزن مألوف من أوزان العربية؛ لأن العامة من الناس إذا لم يجدوا وسيلة للتعبير عما يقع بينهم من مستحدث أو جديد يلجأون إلى نقل الألفاظ نقلاً صوتياً عما سمعوه. ولا يخفى ما يناله اللفظ عند نقله بهذه الطريقة من تحريف لا بد منه ليناسب منطوق اللهجة المنقول إليها. إن إبدال الحروف وتغيير الحركات والحذف والإضافة والمزج والنحت يجعل التحريف يصل بالكلمة إلى حد يخفي معالم الأصل المنقول عنه. ومن هنا جاء وجود أكثر من لفظ واحد للدلالة على مسمى واحد أو حدث واحد، وذلك لتعدد اللهجات العامية والمصادر التي تم النقل عنها. فأصبح لكل معنى من المعاني أو مسمى من المسميات عدة مصطلحات مما يزيد من صعوبة تحديد المعاني الفنية والتعبير والكتابة والنشر، إضافة إلى زيادة في الغموض واللبس اللذين يلازمان هذه المصطلحات. فمثلاً نجد في بعض اللهجات العربية ألفاظاً أجنبية غير متجانسة استخدمت للدلالة على مفهوم واحد كما هو الحال مع الكلمات : الكلتش (إنجليزية)، والدبرياج (فرنسية)، ومنفلة (إيطالية)، وكلها تعني جهاز غيار السرعة بالسيارة، وكذلك اللفظة "كلاكس" في اللهجة المصرية، (وهورن) في العراقية، (وهرن) في الخليجية، (وطاووت) بالسورية واللبنانية، وكلها تعني "زامور" باللهجة الأردنية وهو جهاز التنبيه بالسيارة. كما هو الحال، أيضاً، مع الكلمات "كبايبة، وكلاس"، وغير ذلك كثير جداً من هذه المصطلحات الدخيلة على العامية العربية. ولما كان عدد هذه المصطلحات والمفردات الأعجمية في ازدياد مضطرد، وتستخدم باللغات العامية على نطاق واسع، فقد أصبح من الضروري دراستها وحصرها ومقارنتها بهدف توحيدها وتعميمها لاستخدامها من قبل الجماهير العربية في شتى أقطارهم. لأن الاختلاف بشأن المصطلح بين قطر وآخر يشيع البلبلة في اللغة القومية ويضعف الثقة فيها ويجعلها عرضة للتشعب لوجود أسماء متعددة لمسمى واحد مما يفقدها وحدتها التي هي سر بقائها وخلودها. وسوف نقترح في هذه الورقة منهجية لتنسيق المصطلحات الأجنبية في اللهجات العامية وسبل توحيدها على صعيد الوطن العربي. وإن المصطلحات المعربة تعريباً عامياً: العلمية والصناعية والتقنية والاجتماعية والسياسية والتجارية ...إلخ. تستخدم على نطاق واسع في اللهجات العامية العربية، فهي ليست مجرد كلمات أو تراكيب مخزونة في القواميس المختصة أو مدونة في ملاحق البحوث والموضوعات المختلفة، بل هي تعبيرات لفظية متداولة بالفعل بين العامة من الناس وهي وسيلة تعبير في حياتهم اليومية. ومن هنا تجيء أهمية توحيد هذه المصطلحات خوفاً من أن تتشعب اللغة الأم إلى لغات إقليمية مختلفة من جهة، وحتى يحسن التعبير الدقيق باللغات الدارجة من جهة أخرى. إن ظاهرة الازدواجية في استخدام اللغة أمر على جانب كبير من الخطورة، لأن كثيراً من الخلافات أو سوء الفهم بين الناس في الحياة الاجتماعية أو العملية مرده سوء التعبير أو الفهم، إضافة إلى ازدياد ابتعاد العامية عن

اللغة الفصيحة مما قد يجعل من الأخيرة شيئاً يشبه أن يكون لغة عربية أو غير مألوفة لدى العامة للتعبير بها عن مشاعرهم وحاجاتهم. إن تحقيق هذا الهدف هو ما نقصده من هذه الدراسة، أي توحيد تعريب المصطلح الدخيل واستخدامه بطريقة اللفظ والنطق بالعربية بقدر الإمكان، كي لا يتنافى هذا اللفظ المقترض مع روح العربية وموسيقاها.

2- مصادر الاقتراض في اللغة العامية :

تدخل ساحة المعرفة كل يوم ألفاظ فنية جديدة يطلقها المكتشفون والمخترعون بلغاتهم على مفاهيم وأعيان ولا سيما في ميادين العلوم والفنون والتقانة وكل الاكتشافات والاختراعات، ويسعى أهل اللغات الأخرى بعد ذلك لإيجاد المقابلات لها في لغاتهم حسبما يصطلح عليها أهل الاختصاص منهم أو يقترضون هذه المصطلحات من اللغة التي وضعت بها في الأصل. ومن هنا نرى أن الكثير من لغات العالم تحتاج إلى المصطلح العلمي بلغاتها لكي يدل على المعاني والأعيان المستحدثة. وهذا الغزو اللغوي ظاهرة من ظواهر العولمة التي تنادي بها الدول الكبرى المتقدمة صناعياً وتقانياً (تكنولوجياً) وحضارياً، وقد ازدادت هذه الظاهرة خطورة نتيجة تطور وسائل الإعلام وتقنية الاتصالات التي جعلت العالم بأسره ساحة واحدة يتسامع فيها الناس ويتراءون دون أن يحول محيط أو صحراء دون تواصلهم وتأثر بعضهم ببعض؛ أخذاً وعطاءً. لقد ترتب على هذا الوضع غزو في مجال الفكر واللغة والثقافة تمارسه البلدان المصنعة والمتقدمة على لغات وثقافات الآخرين من دول العالم النامي كما هو حاصل، على سبيل المثال، مع عالمنا العربي ولغتنا القومية حيث تأثير الحضارة الغربية واضح في ميادين الحياة كافة وفي جميع البلدان العربية دون استثناء، لدرجة أن الحكم الأجنبي الذي بليت به الأمة العربية قد أجرى محاولات متتالية لإحلال لغته محل اللغة العربية تدعيماً لسياسته الاستعمارية في الهيمنة والتسلط، وهذا ما دفع رجال الفكر والعلم واللغة من أبناء الأمة العربية إلى الوقوف في وجه هذا الغزو اللغوي الثقافي والدفاع عن ذاتهم وهويتهم الحضارية، فأنشئت مجامع اللغة والمؤسسات والهيئات القومية والاتحادات المهنية ومراكز التنسيق من أجل معالجة المصطلحات العلمية والألفاظ الدخيلة وتعريبها، علماً بأن عددها قد ازداد في الآونة الأخيرة زيادة كبيرة نتيجة للثورة العلمية والتقانية التي يشهدها العالم حالياً في مجالات الاتصالات، والمعلومات، وهندسة المكونات الوراثية، وعلم الحياة، والجيولوجيا، والفضاء، والحواسيب، وغيرها من العلوم التطبيقية التي يصعب حصرها. يضاف هذا الرصيد من المصطلحات إلى تلك التي يتداولها الجمهور منذ أمد طويل في جميع ميادين الحياة. وقد أفاد ذلك الكم الهائل من الألفاظ الدخيلة إغناء اللغة العربية الفصحى والعامية، على حد سواء، بألفاظ كثيرة. فبالإضافة إلى ما ذكر أعلاه من مجالات وفروع، هناك أسماء بعض النباتات والحيوانات والأدوية والعقاقير والأمراض والآلات العلمية والإلكترونية والمركبات الكيميائية واللباس والطعام والشراب والألوان، التي تستخدم على نطاق واسع في اللغة العامية. ولهذا نجد كلمات متداولة مثل: أوركيدا orchids، سلمون salmon، نيرس nurse، هورمون hormone، انفلونزا influenza ، فايرس virus، فولكلور folklore، بوبلين poplin، أمونيا amonia، بيرة beer، ميزانين mezzanine، ديكور decore، كرين crane، مايكروبص microbus، بيتزا pizza، همبيرغر hamburger، راديكالي radical، ديكتاتور

dictator، هايدروليك hydraulic، دراي كلين dry clean، ليزر laser، كيك cake، مايكروفيلم microfilm، بلاستيك plastic، بلف valve، البوم album..... إلخ

كما أن هناك عدداً من المصطلحات ذات المعاني العلمية البحتة يقتصر استعمالها في الغالب على الخاصة من العلماء ومن يدرسون الفن والعلم والتكنولوجيا على أيديهم، مثال ذلك: طوبوغرافي topography، طوبولوجي topology، انثروبولوجي anthropology، تونومتر tonometer، بورتفوليو portfolio، تكنوقراط technocrat، تلستار telestar، هايبرلنك hyperlink، طربين turbine، تلتكست teletext، ملتي ميديا multi-media، روتين routine .....إلخ

وهناك أيضاً مصطلحات ذات صبغة عالمية تستخدم على نطاق واسع باللغة الفصحى والعامية، مثال ذلك: كومبيوتر computer، إلكترون electron، تلفزيون television، راديو radio، فاكس fax، يوغا yoga، جودو judo، إنترنت internet، مودم modem، فلم film، ترانزستور transistor، أوكسجين oxygen، هيدروجين hydrogen، الأولمبياد olympiad، بسطرة pasteurization، أوبرا opera، باليه ballet، أوركسترا orchestra... إلخ.

وكذلك الأسماء المتعارف عليها دولياً مثل: اليونسكو UNESCO، اليونيسيف UNICEF، الفاو F.A.O، الناتو NATO، ناسا NASA، بي بي سي B.B.C، الأنوروا UNRWA الايدز AIDS، أوبك OPEC .....إلخ.

أو الأسماء الكيميائية لبعض العناصر والمعادن مثل: بلوتونيوم plutonium، يورانيوم uranium، النكل nickel، منغنيز manganese، ألمنيوم aluminum، البلاتين platinum، بوتاسيوم potassium إلخ.....

وهناك، أيضاً، مفردات مستحضرات التجميل ذات الانتشار الواسع في اللهجات العربية الدارجة، مثال ذلك : كريم cream، روج rouge، بودرة powder، سبراي spray، لوشن lotion، بروش brooch، بيرفيوم perfume، كولونيا eau-de-cologne، شامبو shampoo، مكياج maquillage، مانيكير manquer، أكسسوار accessoire ...إلخ.

وهذه المفردات الدخيلة التي اقترضتها اللهجات العربية من مصادر متعددة، لا سيما اللغة الفرنسية والإنجليزية، تعرَّب بألفاظها ونادراً ما نجد لها مقابلات عربية. وبصفة عامة، يتم نقل المصطلحات والمفردات الأجنبية إلى اللغة العربية إما بأساليب لا منهجية مرتجلة وإما بطرائق منهجية معروفة ودقيقة يرجع إليها العلماء والنقلة والمترجمون والمؤلفون والصحفيون عندما يضعون المصطلحات الأجنبية في اللغة العربية. ومن الأساليب المنهجية نذكر الترجمة، والاشتقاق، والمجاز، والنحت، والتركيب المزجي، والتعريب، وفيما يلي توضيح موجز لكل منها:

- الترجمة: وهي نقل اللفظ الأعجمي بمعناه إلى ما يقابله في اللغة العربية فنقول مثلاً: مؤتمرات مرئية video conferencing، ومؤتمرات مسموعة audio conferencing.

- الاشتقاق: وهو انتزاع كلمة من كلمة أخرى على أن يكون بينهما تناسب في اللفظ والمعنى، فمثلاً من كلمة أكسيد oxid نشتق أكسد، يؤكسد، مؤكسد، وتأكسد.

- المجاز: وهو التوسع في المعنى اللغوي لكلمة ما

لتحميلها معنى جديداً، مثال ذلك كلمة "فأرة" في نظام الحاسوب حيث تعني جهاز تأشير لإدخال الأوامر للحاسوب.

- النحت: هو انتزاع كلمة من كلمتين أو أكثر على أن يكون هناك تناسب في اللفظ والمعنى بين المنحوت والمنحوت منه، مثل : كهرحراري بدلاً من كهربائي حراري.

- التركيب المزجي: هو تركيب كلمتين مع المحافظة على حروفهما، مثل: لاسلكي، وأفرو آسيوي، وفرانكو عربي، وأنكلو هندي.

- التعريب: ويعني : إما ترجمة، أي نقل المعنى من لغة إلى أخرى، أو جعل اللغة العربية لغة العلم والعمل والفكر والبحث، وإما أن تلفظ الكلمة الأجنبية على طريقة العرب في النطق والوزن، وهذا هو المعنى الذي نقصده في بحثنا عن توحيد المصطلحات الأجنبية في اللهجات العامية العربية، مثال ذلك: كابتن captain، ميدالية medal، كوكتيل cocktail، بيجاما pyjamas، نمرة number، سينما cinema، فيلم film ...إلخ

إن هذا الضرب من التعريب يسمى الاقتراض، وغالباً ما يتم هذا النوع من التعريب صوتياً ومرتجلاً دون مراعاة بناء اللفظة المعرَّبة على وزن مألوف من أوزان العربية. وقد دخل العربية بهذه الطريقة أعداد هائلة من الألفاظ الأجنبية من كافة الأنواع وميادين الحياة، وقد جرى عليها بطبيعة الحال تهذيب ونحت ليتوافق نطقها مع اللهجة التي يستعملها الناس، ونتيجة لإقبال الجمهور على تداولها فقد أصبح لها قوة عظيمة يصعب التغلب عليها إلا إذا وجدت، كما ذكرنا سابقاً، لها مرادفات خير منها، من ناحية تقبل الناس لها.

أما الأساليب اللامنهجية أي التعريب العامي الذي لا ضابط له من نطق أو صرف أو نحو أو تحديد لمعاني الألفاظ، فإن أبوابه كثيرة، وقد دخل من خلالها للهجات العامية الدارجة كم هائل من المفردات الأجنبية التي شاع استعمالها بين فئات المجتمع العربي على اختلاف أقطاره. وبصفة عامة نستطيع القول إن اللهجات العامية في المغرب العربي تنقل عن اللغة الفرنسية وتسترشد بها في تسمياتها واصطلاحاتها، بينما اللهجات في المشرق العربي تستند إلى اللغة الإنجليزية وتقترض منها. ومثال ذلك اسم مرض نقص المناعة المكتسب للجسم، فهو معروف في المغرب العربي بالسيدا SIDA وفي المشرق العربي AIDS. وإلى هذا تختص اللهجة العراقية واللهجات الخليجية، إضافة إلى اللغة الإنجليزية، بتأثير اللغات الفارسية والهندية والتركية، وتختص المصرية والليبية بتأثير الإيطالية لوجود جاليات إيطالية كبيرة بهذين البلدين إلى عهد قريب. وقد نتج عن هذا الاختلاف في مصادر الاقتراض والمصطلحات الفنية وجود أكثر من لفظ واحد للدلالة على مسمى أو حدث واحد. فأصبح لبعض المعاني والأعيان أكثر من مسمى من المسميات الأجنبية التي استخدمتها العاميات كما هو الحال مع كلمة مستر Mr، ومسيو Monsieur، وخواجا khawaja، وسنيور sinore، بمعنى سيد في اللغة العربية، وكذلك كلمة طاير/ إطار tyre، تيوب tube، ويل wheel، كاوشوك caoutchouc، بمعنى عجل أو دولاب في اللهجة الشامية. وكذلك الحال مع الاختلاف في أسماء أشهر السنة في المغرب العربي وبلدان الخليج العربي وبلاد الشام حيث يقال مثلاً، على التوالي، جانفير janiver، وينابر، وكانون ثاني. وهكذا الحال مع مفردات كثيرة أخرى. من هنا نؤكد أن الأخذ بالعامية خطر من الوجهة القومية لما يؤدي إليه من تفكيك العُرى بين العرب وفصم الروابط بينهم، بسبب تشعب اللهجات

الدارجة وابتعادها عن اللغة الفصيحة، اللغة الأم والرابطة الأقوى التي تجمع الأمة من حولها من المحيط إلى الخليج.

لقد شاع التعريب المرتجل أو النقل الصوتي في اللهجات العربية، مؤخراً، كوسيلة من وسائل إدخال الجديد والمستحدث في اللغة ليسهل التعرف عليها وبأسرع ما يمكن. وقد انتشرت بين الناس مثل هذه المصطلحات المعرَّبة صوتياً قبل أن يطّلع عليها المختصون ويضعوا لها مقابلات في العربية، ومع تداولها بكثرة أصبح لها قوة استعمال يصعب التغلب عليها. إن التعريب الصوتي المطلق خطير، إذ إن الإقدام عليه والإفراط فيه يخلق لغة عربية شاذة مخلطة داخل العربية، يضاف إلى ذلك صعوبة تحديد المعاني الفنية بها وكذلك صعوبة التعبير والكتابة والنشر. هذا كله زيادة عن الغموض واللبس اللذين يلازمان هذه المصطلحات. ولكن، يستحسن، دائماً عند تعريب المصطلحات من قبل المختصين إذا كان اللفظ مناسباً ألا يستبدل به لفظ آخر، إذا كان مدلوله لا لَبْس ولا إبهام فيه.

وقد شاع استعمال الألفاظ الأعجمية بين الناس عن طريق الأطباء والمهندسين والصناع والعمال وغيرهم من الحرفيين الذين اضطرهم ظروف عملهم إلى استعمال ألفاظ استحدثوها في سرعة وعجلة دون تفكير لغوي، لعدم درايتهم بأصول اللغة العربية، فاستعملوا ألفاظاً نقلوها صوتياً، فَحُرِّفت تحريفاً يوافق لهجاتهم الطبيعية، فاختلفت لواقع الحال عن أصلها الأجنبي. مثال ذلك:

بابور/وابور : من الفرنسية vapeur بمعنى قطار بخاري.

إسبانا : من الإنجليزية spanner بمعنى مفك براغي.

ورشة : من الإنجليزية workshop بمعنى مشغل/معمل.

كوندشن : من الإنجليزية air conditioner بمعنى مكيف هواء.

دريول : من الإنجليزية driver بمعنى سائق مركبة (بلهجة أهل الخليج).

فرمله : من الإيطالية freno، بمعنى الآلة التي تسبب وقف الحركة.

ماكينة : من الإيطالية macchina، بمعنى محرك ميكانيكي.

مناورة : من الفرنسية manœuvre، بمعنى مداورة.

بسكليت : من الفرنسية bicyclette ، بمعنى دراجة.

استبينا : من الإيطالية esta beni، بمعنى اتفقنا.

كباية : من الإنجليزية cup، بمعنى كوب.

بوري : من التركية بورجي، بمعنى أنبوبة.

كبت : من الإنجليزية cupboard، بمعنى دولاب/خزانة.

بلكون : من الإنجليزية balcony، بمعنى شرفة.

ورنيش : من الإنجليزية varnish، بمعنى طلاء لماع.

برشت : من الفارسية barechtan، بمعنى "نص سوا".

جام : من الفارسية jam، بمعنى زجاج.

يوبيل : من الإنجليزية jubilee، بمعنى عيد لمناسبة مرور 50 سنة أو 25 سنة.

إننا نعيش عصراً يدعى عصر الثورة العلمية والتقانة. هذه الثورة التي شملت الحياة كلها، وعلى الأخص مجالات الاتصالات، والمعلوماتية، وعلم الحياة، والحواسيب، والإنسان الآلي، وعلم الفضاء، وغير ذلك من العلوم والفنون. إن معظم الذين يشرفون ويديرون هذه العلوم والفنون قد درسوا وتدربوا في الغرب وعددهم

بازدياد مضطرد. والذين لم يدرسوا هذه العلوم خارج بلادهم فقد درسوها بإحدى اللغات الأجنبية كالإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو الإيطالية أو الروسية ...إلخ. وطبيعي أن يستعمل هؤلاء الفنيون والمهندسون ألفاظاً من اللغات التي درسوا بها في طريقة تعاملهم مع بعضهم بعضاً أو عندما يعبرون عن أفكارهم وأعمالهم وآلاتهم وأجهزتهم. وحالما يسمعهم جمهور العمال من عامة الناس، غير المتمكنين من اللغة العربية الصحيحة، يحاولون تقليد ما سمعوه صوتياً من رؤسائهم ومسئوليهم مستخدمين ما تعلموه ونقلوه وابتكروه. ومن هنا يدخل اللغة الدارجة فيض من المصطلحات والمفردات الأعجمية المتنوعة.

ويحدث نفس الشيء مع رجال الصناعة ومن على شاكلتهم ممن يشتغلون في الصناعة. وهؤلاء بحاجة دائماً إلى التعبير عن عملياتهم وأجهزتهم وإنتاجهم وعن كل ما يُمت لعملهم المصنعي بلهجتهم الخاصة مستخدمين ألفاظاً فنية معينة فيما بينهم. وهؤلاء قلّما يجهدون أنفسهم في التفكير في المصطلحات التي يستخدمونها من ناحية استعمالها أو معناها إما لعدم درايتهم بأصول اللغة العربية أو لانكبابهم على عملهم الذي تخصصوا فيه وعدم رغبتهم في إضاعة الوقت. وعندما يستعصي على هؤلاء التعبير عما يريدون من الأعمال الصناعية يعبرون عنها بالألفاظ الأجنبية التي تدربوا بها، والعمال والصناع من حولهم يسمعونهم ويقلدونهم لحاجتهم الملحة لذلك، ومن ثم يطلقون لأنفسهم العنان باستعمال الألفاظ التي نقلوها صوتياً محرفينها تحريفاً يوافق نمط العامية التي يتحدثون بها. فيخرجون في كثير من الأحوال بألفاظ مقبولة شكلاً، إلا أنها غير دقيقة المعنى، كما في الكلمة "جام jam" التي تستخدم في اللهجة العراقية والخليجية بمعنى "زجاج أو كأس" أو كلمة "ميز mess" بمعنى منضدة.

وعن طريق وسائل الإعلام والدعايات التجارية، التي تعلن بكثرة في الإذاعة والتلفاز، اقتبست العامية مفردات كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال: فابريكا، ماركة، كاشير، دوسية، بطارية، كوبون، شاموا، تيفال، أكسسوار، أباجور، بوفيه، ستيريو، سوبرماركت، إسترج stretch، سكواش، بوستر، موبيليا، ميلامين، شمبانيا، مكياج، تريكو، ديكور، جمبو، إتيكيت، شوفير، بون بون bon bon.

وعن طريق الاحتكاك الثقافي والسياسي والتجاري والعلمي والاجتماعي، أخذت العاميات العربية أعداداً وافرة من المصطلحات الأعجمية التي أصبحت جزءاً منها ومستعملةً فعلياً على نطاق واسع. هناك مثلاً: سيمنار seminar، سميستر semester، كورس course، كومبيوتر computer، ريموت كنترول remote control، دوز dose، وندوز windows، كي بورد key board، سيتمة steamer، برتية barter، ستوديو studio، سكرتيرة secretary، مول mall، تريكو trico، تورتة torte، تستر tester، تي شيرت T.shirt، ويك اند week end، فودكا vodka، فاليوم valium، كابسول capsule، تابلت tablet، سبير spare، شيني sheeny، بوربريك power brake، بيتزا pizza، شبس chips، ساندويش sandwitch، نايلون nylon، بوليستر polyester، بلوفر pull over، بولي تكنك polytechnic، ألبوم album، دوش douche، موضة mode، كادر cadre، ساونا sauna، روتين routine، إلخ.....

هذه الألفاظ وغيرها هي مصطلحات عامية معرَّبة تعريباً لفظياً مرتجلاً، أي لا ضابط لها من نطق أو صرف أو اشتقاق أو تحديد لمعاني الألفاظ، على عكس

المصطلحات العلمية والفنية التي تستخدم في اللغة العربية الفصحى لأنها تخضع في تعريبها إلى منهجية محددة وضعتها مجامع اللغة العربية. ومن أمثلة التحريف عند النقل للغة العربية العامية ما يلي: إستاد من stadium، ريوس من reverse، برندة من veranda، يخت من yacht، كاريكاتور من caricature، بلكون من balcony، فرملة من freno، كشك من kiosk، نمرة من number، ليسين من licence، فترجي من fitter، بوسطجي من postman، إستراتيجي strategic ....إلخ

لقد شاع استعمال المفردات الأجنبية، أيضاً، بين الناس من خلال وسائل عدة كالتلفزة والإذاعة والصحافة والروايات، والمسلسلات، والاحتكاك التجاري والصناعي والثقافي والتقني والعلمي، وغير ذلك كثير من الطرق والوسائل التي دخلت فيها المفردات الأعجمية إلى اللغة العربية. وغالباً ما تنقل هذه المفردات صوتياً ولذلك يجري عليها الكثير من التحريف لتوافق اللفظ العربي واللهجات المحلية. فمثلاً يتغير اللفظ بتبديل حروفه التي يصعب نطقها بمشابهات لها من العربية كما هي الحالة مع الحروف الآتية المستعملة في اللغة الإنجليزية :

(p) تحرف إلى الباء لعدم وجود مماثل لها في العربية كما في pipe، piston اللتين تلفظان بايب وبستن.

(v) تحرف، أحياناً، إلى باء كما في كلمة "valve" التي تلفظ "بلف" وتحرف إلى واو كما في "varnish" التي تلفظ "ورنيش".

(j) تحرف إلى الجيم العربية كما في"jeeb" التي تلفظ "جيب".

(th) وهي تقابل الدال أو التاء العربيتين حسب اللفظ المستعملة فيه. يناله التحريف في بعض اللهجات العربية فتلفظ "ز" أو "ت" فيقال ترمومیتر thermometer، وفازر father.

كذلك يحدث التحريف عن طريق تغيير الحركة بالمد أو التقصير في الكلمة لتناسب اللهجة العربية، كما في air conditioner التي تلفظ "كونديشن" في لهجة الخليج العربي، و vernier إلى "ورنية"، و automobile إلى طومبيل... إلخ. كما يحدث التحريف عن طريق حذف، وإضافة واستبدال مقاطع بأكملها، أو إضافتها أو الاستبدال بها لتقريب النطق إلى الأوزان واللهجة الشائعة كما في: مناورة manoeuvre، وفابركه fabrication، وورشة workshop، ونمرة number، ودكتوراه doctorate، وهمبكة humbug ....إلخ

وقد يحدث التحريف في اللفظ عن طريق إبدال الحروف، وتغيير الحركات، والحذف، والإضافة، والمزج، والنحت، مما قد يجعل التحريف يصل بالكلمة إلى حد يخفي معالم الأصل المنقولة عنه. مثال ذلك: سلب slip بمعنى زحلق، فنش finish بمعنى ينهي عمل، بنشر punch في اللهجة الخليجية، وكذلك رمج terminate بمعنى أنهى عملاً، بربغندا propaganda بمعنى دعاية أو "زعبلة" في لهجة بلاد الشام، ولاستيكا elastic بمعنى مطاط باللهجة المصرية، ورسكلة باللهجة التونسية بمعنى "إعادة تأهيل" التي ربما جاءت من كلمة resurrection الإنجليزية.

كما أن العديد من المفردات الأجنبية تخضع لطريقة النطق والصرف العربية فهي تُثنى وتجمع وتكون فاعلاً أو مفعولاً به أو مجروراً بحرف جر ...إلخ. مثال ذلك:

- راديو radio: راديوان، راديوهات.
- تلفزيون television: تلفزيونان، تلفزيونات، يتلفز، متلفز، تلفز، تلفزة
- أيون ion: تأين، أين، تأيين، مؤين، لاأيوني.

- كانسل cancel: يكنسل، كنسل، مكنسل، كنسلة.

- بسترة pasteurization: يبستر، بستر، مبستر.

- هستيريا hysteria: هستر، مهستر، يهستر ...إلخ.

ترسَّخ استعمال المصطلحات الأجنبية بمفهومها العام في اللغات الدارجة العامية وأصبحت شائعة بيننا هذه الأيام. ويعود السبب في ذلك لعدة أسباب وعوامل نذكر منها على سبيل المثال، ما يلي:

1- الفجوة الزمنية التي تفصل بين وقت وضع المصطلح باللغة الأجنبية ووضع المصطلح المقابل له باللغة العربية، حيث يتم ذلك بعد مرور وقت طويل من تداول الناس للمصطلح بلفظه أو بابتداع مقابلات عربية له مرتجلة قد لا يحسن اختيارها. وهكذا يصبح للمصطلح مقابلان أو أكثر ومتى انتشرت هذه المصطلحات أو الابتكارات المشابهة وعمت بين الناس يصبح من العسير تغييرها.

2- كثير من الألفاظ التي عرِّبت عن طريق المجامع العربية لم تلق نجاحاً يذكر، ومات أكثرها لأنها لم توافق طباع الناس وأذواقهم، ولأن الغرض الذي عرِّبت من أجله اتجه إلى الناحية اللغوية البحتة، مثال ذلك:

ساندويش: عرِّبت إلى شاطر ومشطور وبينهما كامخ.

سينما: عرِّبت إلى دار الخيالة.

موضة: عرِّبت إلى جديلة.

تلفون: عرِّبت إلى مسرة.

تلفزيون: عرِّبت إلى الشاشة الفضية.

برافو: عرِّبت إلى بخ بخ.

بكالوريا: عرِّبت إلى حذاقة.

بلكون: عرِّبت إلى طنف.

موتورسيكل: عرِّبت إلى دراجة نارية ...إلخ.

من الملاحظ أن العامة من الناس لم يقبلوا هذه الألفاظ المعرَّبة، وجروا على استعمال الألفاظ الأجنبية، ولم يفكر أحد في استبدال غيرها بها لسهولة لفظها، وكونها تؤدي المعنى بالضبط.

3- اضطرار الفنيين والمهنيين والحرفيين لاستخدام المصطلح الأعجمي، الذي تعلموه من اللغات الأجنبية التي أخذوا عنها معلوماتهم كل في اختصاصه، لتحديد معاني الأعيان أو المفاهيم بالدقة اللازمة لصناعات أو اختراعات أو تقنيات العصر الحديثة. وذلك إما لعدم وجود مقابلات لها بالعربية، أو لقصور المقابل العربي من التعبير بدقة عن المطلوب أداؤه من العمليات الفنية الدقيقة، أو لأن هذا التعبير لا يناسب البتة ما يلزم للصناعات الحديثة أو العمليات الحساسة من دقة في العمل مما قد يسبب سوءاً بالفهم.

4- انصراف المثقفين والعلماء والباحثين العرب عن استخدام المصطلح العربي إلى المصطلح الذي وضعه أصحابه وعدم التزامهم بما تقره وتصادق عليه مجامع اللغة العربية ومؤتمرات التعريب لعدم توافر القناعة الكاملة لديهم بالتعريب والإرادة الصادقة لتذليل العقبات وتوفير المستلزمات كيما تنتصر العربية في ميدان العلوم والتقنيات.

5- استخدام كثير من الناس المصطلحات أو المفردات الأجنبية في كلامهم من باب التأبه أو إظهار العظمة أو "لغاية في نفس يعقوب". ولهذا السلوك يعززون استخدام الألفاظ الأجنبية في اللغة الدارجة.

6- ومما يزيد في الأمر تعقيداً هو استخدام العامية المشبعة بالمفردات الأجنبية في مجالات شتى من ميادين

الحياة مثل:

أ- المدارس والجامعات والمعاهد.

ب- السينما والمسرح والمسلسلات الاجتماعية.

ج- محطات الإذاعة والتلفزة.

د- الصحافة والمجلات المصورة، لا سيما الفنية منها.

هـ- الإعلانات التجارية في الإذاعة والتلفاز.

و- كتابة اللافتات والإعلانات وغيرها بالعربية العامية.

ز- قراءة الأرقام بالعامية.

ح- إلقاء الخطب الجماهيرية المرتجلة باللهجة العامية.

ط- كتابة بعض أسماء المحلات التجارية بالعامية أو بأسماء أجنبية.

ي- انتشار استخدام الإنترنت، بين جماهير الناس، شجع تداول العامية والمفردات الأجنبية.

إن تنسيق المصطلح، وتوحيده، على صعيد الوطن العربي، أمران ضروريان، بل لقد آن الأوان كي نبحث طريقة الالتزام أو الإلزام بما يتفق عليه عربياً في مؤتمرات التعريب أو تلك المصطلحات الأجنبية التي وضعت العامية لها مرادفات أو أصبحت شائعة لديهم. كما أن على المسؤولين أن يتخذوا التدابير اللازمة لرفع المستوى الثقافي الضروري للوصول إلى تعريب صحيح، وإذا لم يتخذوا هذه التدابير ستبقى الغلبة للغة الأجنبية لأنه لا يمكن أن ترتقي العامية إلى مستوى يضمن التعبير عن أشياء علمية وتقنية وعندئذ سيفضل المثقفون التعبير عن ذلك بلغة أجنبية عوض العربية.

3- متطلبات تعريب المصطلحات وتوحيدها في اللهجات العربية :

لا بد، قبل البحث عن وسائل تنسيق وتوحيد المصطلحات الأجنبية المتداولة في اللهجات العامية العربية، من توضيح بعض المتطلبات الأساسية التي تدعم عملية تعريب المصطلحات وتوحيدها. ومن أهم هذه المتطلبات ما يلي :

1- اللهجات العربية الدارجة هي وليدة اللغة الأم، اللغة العربية الفصحى. ومع مضي الزمن وانتشار الأمية الأبجدية، لعهود طويلة، بين جماهير الشعب العربي، أصبحت تلك اللهجات متفاوتة من ناحية بعدها أو قربها من اللغة الفصحى، وفي طريقة إخراج الحروف والتلفظ بأصواتها، وكذلك في قصر أو طول أو اتجاه الحركات المختلفة في الكلمة. لذلك يلاحظ أن لهجة المصري، مثلاً، تختلف عن لهجة السوري أو العراقي، ولهجة العربي المغربي تختلف عن لهجة الأردني والخليجي. وهكذا مع بقية اللهجات العربية الأخرى. ولا يخفى أن هذا الاختلاف في اللهجات يؤثر في ألفاظ المفردات الأجنبية وطريقة تعريبها لأنها منقولة صوتياً للهجة الشخص الطبيعية. ومن هنا يمكن تقسيم العالم العربي من منظور اللغات العامية الدارجة إلى مناطق جغرافية أربع هي:

أ- منطقة المغرب العربي وتضم ليبيا وتونس والجزائر والمملكة المغربية وموريتانيا، حيث إن هذه الأقطار كانت واقعة تحت الاستعمار الفرنسي والإيطالي والإسباني، لذا فإن معظم المفردات الأجنبية المستخدمة في لهجاتها المحلية منقولة من الفرنسية والإيطالية بصورة رئيسة ومن لغات أوروبية أخرى وإفريقية.

ب- منطقة وادي النيل وتضم مصر والسودان والصومال، حيث تأثير الإنجليزية والفرنسية وإلى حد ما الإيطالية والتركية، واضح في لهجاتهم.

ج- منطقة بلاد الشام وتضم لبنان وسورية

والأردن وفلسطين، حيث اقتراض المفردات من الإنجليزية والفرنسية كثير ومتنوع.

د- منطقة الخليج العربي، بما فيها العراق والمملكة العربية السعودية واليمن، حيث يوجد في لهجاتها خلطة من المفردات الإنجليزية والفارسية والهندية.

هذا التقسيم الاعتباطي سيوفر للمعنيين بتعريب المصطلح الأجنبي وتوحيده، كما سنرى لاحقاً، دراسة منظمة ومنهجية فاعلة في التعرف على المفردات الدخيلة وشيوعها، ومن ثم حصرها والنظر في شأن تركها أو تهذيبها أو تغييرها ليكون معناها دقيقاً ومحدداً ولا لبس فيه. والقصد من إحكام العمل في ذلك هو تسهيل موقعها من أفواه الناس وتوحيد لفظها في وطن العربية الواحد.

2- إن المصطلحات المعرَّبة تعريباً عامياً ليست مجرد كلمات أجنبية مخزونة في القواميس أو في ملاحق البحوث والكتب العلمية والفنية، بل هي مفردات فعالة متداولة صوتياً على نطاق واسع في اللهجات العامية، مثل العملات النقدية، كوسيلة تعبير شفهي بين الناس في حياتهم اليومية المألوفة، وفي تفاهم بعضهم مع بعض. لذلك فإن طريقة وضعها وتعريبها تختلف عن تلك الخاصة بوضع المصطلحات العلمية والفنية البحتة التي يقتصر استعمالها غالباً على العلماء والباحثين والأكاديميين والمثقفين من الناس، التي عادة ما تكون مكدسة في أمهات المعاجم المتخصصة والملاحق لحين الحاجة إليها. يتبع تعريب هذه المصطلحات منهجية دقيقة أقرتها مجامع اللغة العربية ومراكز البحث والترجمة وهي: الاشتقاق، والمجاز، والنحت، والتركيب، والترجمة، والتعريب.

أما في اللهجات العامية، فإن اقتراض المفردات الأجنبية يتم في الغالب صوتياً ومرتجلاً وليس له قواعد في سلامة اللغة، وعند نقله إلى العربية يناله تحريف كبير في اللفظ ليناسب منطوق اللهجة المنقول إليها. إضافة إلى ذلك، فإن طريقة التعريب هذه قد أوجدت اختلافاً كبيراً في مسميات الأعيان الواحدة بين لهجة عربية وأخرى، تبعاً لظروف احتكاك القطر العربي الواحد بهذا المصدر الأجنبي أو ذاك. وقد ازداد عدد المفردات الدخيلة في الآونة الأخيرة نتيجة الثورة التقنية الآخذة في التطور المذهل والانتشار الواسع، حيث تستنبط كل يوم عشرات بل مئات المفردات الجديدة للدلالة على الاختراعات والاكتشافات الحديثة. على ضوء ذلك الكم الهائل من المفردات الأجنبية المستخدمة على ألسنة الناس، تستدعي الحاجة الماسة إلى تنسيقها وإزالة الاختلاف والفروق بينها. إن المطلوب هو إيجاد المصطلح العربي المقابل للمصطلح الأجنبي بأيسر طريقة وأفضل صيغة، على أن يكون متفقاً عليه في الأقطار العربية كافة. أي أن يكون واحداً موحداً، كي لا تتشعب اللغة الدارجة لوجود أسماء متعددة لمسمى واحد.

3- المصطلحات ذات الصبغة العالمية، أو أسماء العلماء المستعملة كمصطلحات، أو العناصر والمركبات الكيميائية أو الطبية، وكذلك الألفاظ المركبة من أحرف أو مختصرات متعارف عليها دولياً تحتفظ بصورتها الأجنبية بعد تهذيبها بتحريف يناسب العربية. مثال ذلك: هيدروجين، كالوري، أوم، يورانيوم، اليونسكو، الفاو.

4- الكلمات الأجنبية التي شاعت بصيغة خاصة تبقى كما اشتهرت به نطقاً وكتابة، لا سيما إذا كانت مشتركة بين لهجات عربية عديدة. لأنه إذا تغير اسم المصطلح فإن الناس يحتاجون إلى فترة طويلة حتى يألفوا الاسم أو المصطلح الجديد وينسوا المصطلح القديم. وحيث إننا أمام كم هائل من المصطلحات التي تداهمنا كل يوم، فإن إيجاد مقابلات عربية لها جميعاً سيستغرق وقتاً طويلاً،

إذا أردنا أن نجد المصطلح الأنسب، مما سيؤدي إلى تراكم المصطلحات ويصبح إنجاز المهمة مستحيلاً. وهنا لا يغيب عن بالنا أنه رُبَّ مصطلح مشهور، يؤدي المراد منه بدرجة مّا، خير من جديد يُخلَق خلقاً، وإن كان أدق لغوياً.

5- اعتبار المصطلح المعرَّب لفظاً عربياً وإخضاعه لقواعد اللغة وإجازة الاشتقاق والنحت منه.

6- ضرورة تزامن وضع مقابلات عربية للمصطلحات الأجنبية وعدم الانتظار حتى يشيع استخدامها بين الناس بلفظها أو ابتداع مقابلات عربية لها مرتجلة لم يحسن اختيارها. لأنه بعد إطلاق الاسم أو المصطلح يصعب تغييره إذا شاع بين الناس. وفي هذا الصدد، نقترح إيجاد جهاز أو مؤسسة تتبع ذيوع المصطلح الأجنبي والعمل على وضع مقابلات عربية له، في وقت محدد أو ضمن جدول زمني، للانتفاع العاجل به من جهة، وتجنباً لقيام غير العارفين بأصول اللغة بارتجال ألفاظ يغدو من العسير فيما بعد التخلص منها. ومن ثم، أي بعد تعريب المصطلحُ، يلزم استخدامه في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية مثل الصحف، والجرائد، والمجلات، ومحطات الإذاعة والتلفاز، والفضائيات وغيرها من وسائل الإعلام والدعاية من أجل أن يشيع ويستعمل من قبل الناس.

7- تعريب وسائل الإعلام والاتصال: الجرائد والمجلات والإذاعة والتلفاز... إلخ باعتماد اللغة الفصحى وهجر اللهجات المحلية لا سيما عند تقديم المسلسلات والأحاديث والمناقشات ونحو ذلك، والإفادة منها في توحيد المصطلح وتعميمه. وكذلك تعيين مدقق لغوي في كل مؤسسة إعلامية مقروءة أو مسموعة أو مرئية، مزوداً بمعاجم مصطلحات في السياسة والاقتصاد والعلم والاجتماع والتكنولوجيا والمعلومات ...إلخ وذلك من أجل أن يكون اللفظ سهلاً مناسباً للذوق العامي.

8- تعريب التعليم في شتى الفروع العلمية وجميع مستويات التعليم في الوطن العربي للقضاء على الأمية. وكذلك تعريب الإدارات والمصارف والتجارة والاتصال باعتماد العربية المعاصرة أي العربية الفصحى الميسرة ذات الألفاظ والتراكيب السهلة، تجنباً للحن في الكلام والقراءة وفي الكتابة أيضاً. إنها تقريب للفصحى إلى مدارك العوام والقارئ العادي.

9- استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الحديثة في إشاعة المصطلح وتوحيده، ويتم ذلك على النحو الآتي:

أ- تساعد تكنولوجيا المعلومات في تخزين المعرفة، ومنها المعاجم وبنوك المصطلحات، على الأقراص المدمجة الليزرية وتوفيرها للفرد العربي بسرعة وسهولة وبكميات كافية مما يساعد على توحيد وإشاعة المصطلح.

ب- كما تساعد على وضع المعاجم المصطلحية ولوائح المصطلحات على الشبكات المحلية (Internet) للمؤسسات مما يسهل استعمال المصطلح ضمن المؤسسة الواحدة. كما أن وضع المعاجم العربية على الإنترنت (Internet) سيساعد على التواصل المصطلحي العربي.

ج- توفر الشبكات الحاسوبية، كشبكة الإنترنت، إمكانية التواصل بين المؤسسات التي تعمل في المصطلح كمجامع اللغة العربية ومؤسسات التعريب والجمعيات العلمية. كما أن إنشاء مواقع على الإنترنت للمؤسسات التي تعمل في المصطلح سيساعد على توحيد وإشاعة المصطلح خاصة إذا وضع كل مجمع أو مؤسسة جميع منشوراته في موقعه على هذه الشبكة.

د- ستساعد الجامعات الإلكترونية العربية، إذا أُحسن تصميمها وتعريبها، على توحيد وإشاعة المصطلح

العربي.

هـ- تبنّي مبادرات وطنية وعربية لبرامج تلفازية فضائية، بالتنسيق مع مؤسسات المصطلح، تقوم بوضع معاجم حاسوبية موحدة للمصطلح على الإنترنت حسب الحقول العلمية وتحديثها دورياً. وكذلك وضع أبحاث المجلات التي تُعنى بتعريب المصطلحات كمجلة اللسان العربي على الإنترنت.

و- تحويل المكتبات الرئيسة في الوطن العربي إلى رقمية إلكترونية لرفع معدلات التداول والمطالعة بين الجماهير.

ز- إنشاء قاعدة بيانات للمصطلحات مرتبطة بالشبكة العربية للمصطلحات، تمد المشتركين بالمصطلح المطلوب، وبما يجد من ألفاظ العلوم الحديثة أو المتجددة في كل يوم تقريباً.

ح- أخيراً وليس آخراً، إن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الحديثة، بما فيها الهاتف النقال (mobile) الذي يمكن وصله إلى الحاسوب والإنترنت، تستطيع أن توفر، للمستخدم والمهتم بالتعريب، عشرات المعاجم أينما يكون ولو في الصحراء، كما تربطه بقواعد المصطلحات للاستفادة منها.

10- تيسير تعليم اللغة العربية وتحسين طرائق تدريسها. وكذلك وضع الدراسات والبحوث اللغوية التي تساعد على مواءمة العربية للعصر الحديث ومتطلباته، وتنشيط ذلك بتقديم الجوائز التقديرية والتشجيعية للمتفوقين في وضع المصطلح وتعريبه.

11- التزام الدول العربية باستعمال المصطلحات الموحدة التي تضعها هيئات المصطلحات. وهذا الأمر يتطلب قراراً سياسياً قومياً ملزماً، بغية توحيد المصطلح في الاستعمال.

12- ومن الوسائل المدعمة القوية، لحل مشكلة المصطلح في اللهجات العامية الدارجة، تقريب العامية ما أمكن، إلى العربية المعاصرة التي تنزل إلى منزلة وسطى بين العامية والفصحى. إنها تقريب للفصحى إلى مدارك العوام والقارئ العادي حيث يكتب بها الروائيون ومحررو الصحف والمجلات، كما تستخدم في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، وفي التدريس وإلقاء المحاضرات والندوات، وحديثاً في الفضائيات العربية من خلال الأحاديث والمقالات والتعليقات والتمثيليات والأفلام وغير ذلك من البرامج التي تبث على مدار الساعة. هذا الانتشار الواسع للعربية المعاصرة سيساعد على محو الأمية من جهة وعلى رفع سوية العامية مما يترتب عليه تقارب في اللهجات العربية الدارجة وبالتالي توحيد المصطلح المعرَّب.

4- خطة تنسيق وتوحيد المصطلح :

نحن أمام حشد كبير من المفردات الأجنبية المتنافرة المتباينة في المبنى والمعنى، وكذلك نواجه مفردات مستعارة وضعت لها معان عربية تشبيها تختلف من لهجة إلى أخرى. وهناك مصطلحات أخرى تستحدث يوماً بعد يوم.ومعظم الألفاظ التي يتداولها العامة على نطاق واسع في كافة ميادين الحياة العادية، معربة تعريباً لفظياً مرتجلاً، على عكس المصطلحات العلمية والفنية والتقنية المتخصصة التي تخضع في تعريبها إلى منهجية محددة ودقيقة وضعتها مجامع اللغة العربية لهذه الغاية وهي، كما رأينا سابقاً: الاشتقاق والنحت والمجاز والترجمة والتعريب اللفظي المناسب. لذا فهي لا تخلق مشكلة كبيرة في تعريبها وتوحيدها ما دام تعريبها يتبع أسلوباً موحداً معلوماً. لكن مشكلتها القائمة حالياً أنها مكدسة في أمهات المعاجم

ويقتصر استعمال القسم الأعظم منها على الخاصة من العلماء والباحثين والأكاديميين وما شابههم من الناس، على عكس ما هو جار مع الاصطلاحات المتداولة على ألسنة الجماهير سواء كانت معربة أو مبتكرة، حيث يتطلب تنسيقها عملية معقدة وجهداً كبيراً ووقتاً طويلاً نسبياً. والسبب في ذلك هو أن هذه الألفاظ منقولة إلى العامية نقلاً صوتياً من لغات عدة دون رابطة أو قاعدة، وقد جرى عليها تحريف كبير لتوافق اللهجات المحلية فاختلفت لواقع الحال عن أصلها الأجنبي. إضافة إلى وجود أكثر من لفظ واحد للدلالة على مسمى أو حدث واحد. ومن هنا نرى من واجبنا أن نفكر، بعناية ودقة، فيما يجب عمله في تنظيمها وتوحيدها، عن طريق حصرها ومقارنتها وتبويبها تبويباً يمنع زيادة التضخم، فلا يكون التبويب الجديد عبارة عن إضافة كلمات فوق الموجودة، فيزداد الخلط والارتباك، ومن ثم التشتت وتعميق الهوة بين اللهجات الدارجة في الوطن العربي الكبير. كما يجب استطلاع الناس في هذه الألفاظ كي يعبروا عن رأيهم في صنع لغتهم بالصورة التي تناسب أذواقهم. إن أي تعريب لا ينظر فيه إلى ذوق من جرى التعريب لأجلهم وحساسيتهم وقبولهم وطبيعتهم، سوف لن يجد أذناً صاغية ولن يلقى نجاحاً يذكر. ويتم ذلك برصد أو ملاحظة ردود فعل الجماهير نحو المصطلح البديل، فإن تقبله الناس واستخدموه كان به، وإلا من الأفضل تركه ولو كان أدق من بديله لغوياً. ومن هنا جاء المثل القائل : " خطأ مشهور خير من صواب مهجور".

وكحل لمشكلة تنسيق المصطلحات المتداولة في العاميات العربية الدارجة، فإننا نقترح إنشاء هيئة قومية تدعى لجنة توحيد المصطلحات الدارجة، وتتكون من عدد من الخبراء اللغويين والعلميين الأكفاء والصالحين للعمل المصطلحي. ويشترط في الواحد منهم أن يكون متقناً للغة العربية، وكذلك لاختصاصه العلمي ولغته الأجنبية. كما يلزم أن يكون أعضاء هذه الهيئة ممثلين عن المناطق العربية الأربع، التي جاء ذكرها سابقاً، وهي منطقة المغرب العربي، ومنطقة وادي النيل، ومنطقة بلاد الشام، ومنطقة العراق والخليج العربي واليمن. وذلك من باب التعاون بين الأفراد والجهات المعنية بالمصطلح وتحقيق الترابط والاتصال بينهم تجنباً لتكرار الجهد وإضاعة الوقت. تتبع هذه الهيئة مكتب تنسيق التعريب بالرباط الذي سيتولى قيادة العملية وتحمل مسؤوليتها، بحكم اختصاصه وبصفته جهاز التنسيق القومي. تقسم الهيئة إلى أربع لجان فرعية كل مجموعة منها مكونة من 2-3 أعضاء يفضل أن يكونوا من أهل المنطقة التي سيعملون ضمنها. ويجري عملها حسب المراحل التالية :

1- المرحلة الأولى: جمع المعلومات (ومدتها أربعة شهور)

تقوم كل مجموعة من المجموعات الأربع بإنجاز الآتي:

1- حصر الألفاظ المتداولة والشائعة بين الناس مع بيان مدى صلاحيتها للاستعمال.

2- حصر الألفاظ المستخدمة لمدلول واحد مهما يكن مصدرها.

3- بيان مدى تداول المصطلح وشيوعه بين الناس.

4- الاستعانة بالهيئات المحلية التي تُعنى بالمصطلحات الأجنبية والأشخاص المهتمين، وكذلك الإطلاع على المجلات والجرائد والكتب التي تصدر في المنطقة، وجرد المفردات الأجنبية التي ترد فيها من أجل مقارنتها بالمفردات اللفظية.

5- تدقيق وتبويب حصيلة المفردات التي تم تجميعها

استعداداً للمرحلة التالية.

2- المرحلة الثانية : مرحلة التمحيص والتنسيق (ومدتها أربعة شهور).

بعد الانتهاء من المرحلة الأولى تجتمع اللجان الأربع، في مكتب تنسيق التعريب بالرباط، لدراسة المفردات التي جمعت ومقارنتها وتنسيقها، ويكون عملها على النحو الآتي:

1- دراسة حدود معاني المصطلح ومدلولاته ومكامن اللبس به أو الإبهام.

2- دراسة التنافر في المصطلح المستعمل تمهيداً لتهذيبه أو تغييره، وإعطائه لفظاً سهلاً مناسباً للذوق العام.

3- اختيار ألفاظ عربية مطابقة لمعنى المدلولات، والقاعدة العامة في ذلك هي تحاشي الغريب المستهجن، لأن المقصود هو الإفهام لا الترجمة في حد ذاتها.

4- إبعاد المرادفات المعربة التي تؤدي إلى لبس في معنى مدلولاتها حتى لا يختلط الأمر على مستعمل هذه الألفاظ.

5- يُرجح أسهل نطق في رسم الألفاظ المعربة عند اختلاف نطقها في اللغات الأجنبية.

6- الكلمات التي شاعت بصيغة خاصة، تبقى كما اشتهرت، نطقاً وكتابةً.

7- اعتبار المصطلح المعرب عربياً يخضع لقواعد اللغة العربية ويجوز فيه الاشتقاق والنحت.

8- دراسة الألفاظ الأجنبية التي لم تعرب بعد، ووضع القواعد والأنظمة التي تربط وسائل التعريب على اختلاف أنواعها وعند تعريبها يراعى ما يأتي :

أ- تناسق اللفظ مع ألفاظ اللغة العربية المستعملة، وموافقته في التلفظ والمعنى والمبنى للذوق العام.

ب- أن يكون معناه دقيقاً محدداً، لا غموض ولا إبهام ولا لبس فيه.

ج- أن لا يخرج عن الأصول اللغوية من ناحية قواعد الاشتقاق والنحت والقياس.

د- تعريب اللفظ ونحته حتى يصير نطقه مناسباً للغة العربية التي يستعملها الناس، فلا يناله تحريف بعد تعريبه.

هـ- ضرورة صياغة اللفظ، بحيث يتناسق ولا يتنافر مع الذوق العام العربي العصري.

و- إذا كان للمعنى مرادف في العامية الدارجة يفحص ويقرب للفصحى، إذا أمكن ذلك.

ز- إذا كان المصطلح موجوداً في أكثر الدول واللغات يؤخذ كما هو، بتحريف يتناسب مع صيغ العربية.

ح- إذا اختلف المصطلح بين لهجة أو أخرى، وليس له أصل عربي أو أصل دارج، يعرب ويصرف بحرية، مع الابتعاد عن الحروف أو تراكيب الكلام التي لا تتوازن ويستثقلها العامة فيحرفونها عن غير قصد تحريفاً كبيراً.

ط- وفي كل هذه الأحوال يجب عند صياغة اللفظ، أن لا يكون معناه اللغوي مائعاً، له صفة العمومية، حتى لا يتعدى معناه إلى معاني الألفاظ الأخرى المستعملة في نفس الميدان أو التخصص.

3- المرحلة الثالثة: التدقيق والتطبيق (ومدتها أربعة شهور).

بعد تنسيق المصطلحات وتبويبها تقوم اللجان الفرعية بعرض النتائج على مكتب تنسيق التعريب الذي بدوره يقوم بتوزيعها، بعد استطلاعها، على عدد كبير من العلماء والمختصين العرب، لمراجعتها بغرض التدقيق والتحسين وتلافي الخطأ والسهو، وكذلك التأكد من

المعاني والمختصرات وتقييم توحيد المصطلحات والتسميات. وبعد مرحلة التحكيم والتقييم هذه يعد المكتب قوائم بهذه المصطلحات لتوزيعها على مجامع اللغة العربية والجهات المعنية ووضعها على شبكة الاتصالات العالمية، الإنترنت، لتسهيل الحصول عليها من قبل عامة الناس في الوطن العربي الكبير. وبعد نشرها ترصد ردود الجماهير نحوها ومدى تقبلهم واستخدامهم لها. علماً بأنه يفترض التزام الأفراد والهيئات باستخدام المصطلح الموحد حتى لا تذهب هذه الجهود هباءً. إن استخدام هذه المصطلحات يعين على إدخالها حياة الناس قبل أن يدخلها التعريب المرتجل، وقبل أن يطول بها افتراق الاختلاف في اللهجات العربية. إن الزمن ليس في صالحنا والعولمة تداهمنا، سواء أرضينا أم أبينا، فلنحث الخطى قبل أن نجد أمامنا لهجات عربية مشتتة متباينة نتيجة الاختلاف في المفردات الدخيلة وتعمقها مع الزمن بفعل انتشار الثقافة والعلم وتعدد المصادر والمؤلفين والمترجمين وثورة التكنولوجيا. لقد حان الوقت أن تترجم تطلعاتنا إلى حقائق وأفعال وأن ننشط إلى التطبيق والعمل قبل فوات الأوان.

- المراجع :

1- إبراهيم خورشيد، (1985) **الترجمة ومشكلاتها**، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة.

2- الأمير مصطفى الشهابي (1988) **المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث**، المجمع العلمي العربي- دمشق.

3- التعريب. العدد 21، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق 2001.

4- ترجمان، المجلد 6، العدد 1، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، الرياض، 1998.

5- حسن حسين فهمي (1961) **المرجع في تعريب المصطلحات العلمية والفنية والهندسية**، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة.

6- كمال بشير (1995) **التعبير بين التفكير والتعبير**، مجلة التعريب، العدد 9- دمشق.

7- عبد الكريم الأشقر (2000) **توحيد المصطلح وتعميمه**. مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد 75، الجزء 3- دمشق.

8- عبد الجبار الألوسي (1980) **معجم الألفاظ والمصطلحات المعربة**، اللجنة الدائمة لاستقراء الألفاظ الأجنبية وزارة التربية- بغداد.

9- شحادة الخوري (2000) **دراسات في الترجمة والتعريب**. الجزء الأول والثاني، دار المعارف- سوسة- تونس.

10- **اللسان العربي**. أعداد متفرقة، مكتب تنسيق التعريب- الرباط/ المغرب.

11- مكتب تنسيق التعريب، **المبادئ الأساسية في منهجية وضع واختيار المصطلحات العلمية التي أقرتها ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة**. الرباط، 1981.

12- ممدوح خسارة (1999) **مخاطر الاقتراض اللغوي على العربية**، مجلة التعريب، العدد السابع عشر 1999- دمشق.

13- مجمع القاهرة، **توصيات خاصة بمنهج وضع المصطلحات العلمية العربية المتخصصة**، أقرها مجلس المجمع ومؤتمره في دورته السنين 1994 والواحد والستين 1995، القاهرة.

14- محمد مجيد (1990) **معجم المصطلحات والألفاظ الأجنبية في اللغة العامة العراقية**. بغداد.

15- محمد ديداوي (1992) **علم الترجمة بين النظرية والتطبيق**، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة- تونس.